المعاد في الديانات السماوية الأربع

The Afterlife in the Four Divine Religions

أ.م.د حسين عبد الأمير يوسف [1]

Assist. Prof. Hossein Abdul-Amir Yousif

الخُلاصة

يدور البحث حول المعاد في الديانات السماوية الأربع،الديانة الإسلامية والمسيحية واليهودية والزرادشتية، وقد وضحنا في هذا البحث،أن هذه الديانات مشتركة من حيث المبدأ بعقيدة المعاد والرجوع الى الله تعالى بعد الموت،حيث أن كل إنسان ينال جزاءه بما قدمت يداه،وكذلك بينا فيه، الإنحرافات التي حدثت في الديانات التي سبقت الدين الإسلامي نتيجة تحريف الكتب السماوية التي أنزلت على أنبيائهم،فكان لعقيدة المعاد نصيب من هذا الإنحراف والتحريف،فانحرفت عن قواعدها الأصلية التي بينها الله تعالى،أما في الدين الإسلامي فإن الإعتقاد بالمعاد يعد ضرورة من ضرورات الدين عند جميع المذاهب الإسلامية وإن أختلفوا في كيفيته،جسمانيا كان أم روحانيا.

الكلمات المفتاحية: المعاد، الديانة الإسلامية، الديانة المسيحية، الديانة اليهودية، الديانة الزرادشتية.

Abstract

The research revolves around the return in the four monotheistic religions, the Islamic, Christian, Jewish, and Zoroastrian religion. In this research, we explained that these religions are common in principle with the doctrine of resurrection and returning to God Almighty after death, since every human being receives his reward for what his hands presented, as

١- كلية العلوم الإسلامية / جامعة أهل البيت-عليهم السلام-.

well as between us, the deviation In the Islamic religion, belief in the return is one of the necessities of religion in all sects, even if they differ in its quality, whether it is physically or spiritual.

المقدمة

إن العود في اللغة: هو الرجوع على بدء، والمعاد: هو المرجع والمصير ويعني الحياة الآخرة.

إن الاعتقاد بالمعاد عنصر أساسي في كل شريعة لها صلة بالسماء، ويحتل في الأصالة والتأثير محلّ العمود الفقري في بدن الإنسان، ودونه تصبح الشرائع مسالك بشرية ماديّة، لا تمت إلى الله سبحانه بصلة. فقوام الشريعة بالمبدأ والمعاد، ولأجل تلك الأهمية ألقت بحوث المعاد بظلالها على القرآن الكريم و بلغت آيات المعاد ١٤٠٠ آية أو أكثر من ذلك، ولذلك قلما تجد سورة في القرآن الكريم ليس فيها دعوة إلى الإيمان بالمعاد بالتصريح أو بالإشارة، ولو أخذنا تلك الآيات بنظر الاعتبار لتجاوز عددها أكثر ممّا ذكر. ومن أجل ذلك لا ترى شريعة تتسم بأنّها شريعة إلهية ولو بعد تحريفها، خالية عن الدعوة إلى الحياة الآخرويّة، وحشر الإنسان بعد الموت، وإقامة الحساب والجزاء، والثواب والعقاب. وقد ذكر القرآن الكريم ما يشير إلى إيمان الديانات السابقة بالمعاد حيث:قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

و بحثنا على أربعة مطالب سنناقش فيها المعاد في الديانات السماوية الاتية وهي:

١- الدياينة الزرادشتية.

٢- الديانة اليهوديّة.

٣- الديانة المسيحيّة.

٤- الدين الإسلامي.

المطلب الأول: المعاد في الديانة الزرادشتية:

يعتقد البعض أن الديانة الزرادشتية ليست ديانة سماوية، بل أنها ديانة وضعية، ويرون أن لافرق بين الزرادشتية ديانة النبي زرادشت وبين الديانة المجوسية التي سبقت بعثته،كما أن الدراسات التي تناولت الزرادشتية تشير إلى أن زرادشت كان موحدا عاش في القرن السابع قبل الميلاد، وإن بعض الدراسات تشيرإلى أبعد من هذا التأريخ بكثير، وقد إختلف الباحثون في تاريخ بعثته، وقد عد بعضهم وجوده وجودا وهميا، ومنهم من عدّه شخصية تأريخية ومصلح لعب دورا مهما في تاريخ الشرق القديم، وهناك من قال عنه أنه صاحب رسالة إلهية وقد أثبتت بعثته عينات الآثار التأريخية المكتشفة، وخاصة كتابه (الاواستا) الذي عثر عليه في القرون الأخيرة.

أما القرآن الكريم فقد ذكر هذه الديانة وسماها بالديانة المجوسية كما ورد في الآية الكريمة ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

إن الديانة المجوسية هي الديانة السائدة قبل بعثة زرادشت في بلاد الهند وفارس، حيث كان أتباعها يعبدون النارويقدسونها بعدها مصدراً للنور والطهارة، ولكن حينما ظهر زرادشت وبدأ بتبليغ رسالته استطاع أن يقضي على مظاهر هذه الديانة في أغلب بلاد الهند وفارس. آمن أغلب المجوس بالدين الجديد ودخلوا فيه، لكنهم سرعان ما عادوا إلى ديانتهم القديمة بعد موت زراداشت و حرّفوا الكتاب المقدس الذي جاء به زرادشت وهو(الأواستا)، فصارت الديانة الزرادشتية خليطا من تعاليم زرادشت، وخرافات الديانة المجوسية السابقة.

إن الكتاب المقدس للزرادشتيين ينصّ على وجود إله خالق اسمه (اهورا مزدا)، وهو إله الخير الذي أرسل زرادشت، و أن (اهورا مزدا) خير مطلق لا يمكن أن يصدر منه الشر، لكن المجوس أدخلوا إلى تعاليمهم إلها آخر، هو إله الشر الذي يطلقون عليه (اهريمن)، لأن في اعتقادهم أن الخير والشر متناقضان ولا يمكن أن يصدرا من مصدر واحد، لذا يجب أن يكون للخير إله، وللشر إله آخر. ويعقد البعض منهم أن اهريمن مخلوق (اهورا مزدا)، والبعض الأخر يقول إن (اهورا مزدا) اكتشف (اهريمن) ولم يخلقه. و يقولون إن الصراع لا يزال قائماً بين الخير والشر والنهاية سوف تكون للخير.

يعتقد الزرادشتيون بوجود الملائكة وكذلك المنقذ، ويؤمنون بيوم الجزاء والحساب. وهو اليوم الذي يأخذ كل ذي حق حقه فيه. وتعدّ عقيدة المعاد من العقائد الثابتة عندهم على الرغم من تأثرها ببعض القصص والأساطير الدخيلة، غير أن العود والحساب والصراط والجزاء أمور ثابتة عندهم.

يعتقد الزرادشتيون أن روح الميت تجثم على هامته مدة ثلاثة أيام بعد الموت، وأن روح الإنسان المؤمن تنعم في هذه المدة بما يهب عليها من روائح الأشجار والزهور الطيبة الرائحة، ومن ثم تأتي الروح إلى صراط جميل حيث تشاهد بصورة فتاة جميلة واقفة على ذلك الصراط تقدم للروح الشكر على ما قدمت في حياتها الأولى.

ويعتقدون بالبرزخ ايضا قبل يوم القيامة، ويقولون أن الروح لا تذهب مباشرة لمقرها النهائي، بل أنها تبقى في عالم البرزخ حتى يأتي يوم الحساب، فتتجه الأرواح جميعها نحو الآلهة التي تزن الأعمال، وتميز الصالح من الطالح، والمؤمن من الكافر. و الآلهة التي يذكرونها هنا ليست آلهة خاصة، بل أنها ملائكة، ويعطونها درجة الآلهة لأنها تساعد (اهورا مزدا) الإله الخالق في عمله، وأما الذات الخاصة فإنها تقود الإنسان نحو جسر(جينفات)؛ أي الصراط، وهناك تستقبله الملائكة على الجسر، وهذا الجسر يتميز بأنه رفيع مثل

الشعرة، وحاد مثل السيف، وأما الإمكانية الوحيدة التي تسمح للإنسان بعبور هذا الجسر فهي الأعمال الطاهرة، أما الإنسان الشرير فإن العبور مستحيل عليه، وتؤدي به أعماله إلى السقوط في الجحيم.

وقد تأثر المعاد عند الزرادشتيين ببعض الأفكار التناسخيّة من خلال الروايات والقصص الخرافية التي دخلت فيه، إذ جاء عنهم مثلا، (إن الروح حينما تخرج من البدن فإنها تحلّ في حشرة صغيرة، وتبقى هذه الحشرة تطوف لمدة ثلاثة أيام حول البدن، وفي اليوم الرابع تذهب إلى عالم البرزخ). وهذا الاعتقاد هو نوع من التناسخ النزولي الذي لم تقره الأديان السماوية في كتبها.

الزرادشتيون لا يدفنون موتاهم في التراب، بل يتركون اجسادهم في العراء في أماكن فوق الجبال لتكون طعاماً للحيوانات والطيور المفترسة، وهذا نابع عن عقيدتهم بأن التراب شيء طاهر لا يمكن تدنيسه، بأجساد الأموات، وهذا يدلّ على أن المعاد عندهم معاداً روحانيّاً فقط.

وإذا كانت الروح صالحة، أي حائزة الصفات الثلاث: (القول الصالح، والعمل الصالح، والنية الصالحة فأنها تصل وبدون شك إلى عالم أرقى من هذا العالم الذي هي فيه. وأن العالم الذي تدخل فيه الروح الخيرة والذي يسمى(الجنة) فالروح ستكون سعيدة فيه، وعلى عكس الروح الشريرة والمذنبة فإنها تدخل في عالم الآلام والمشاق؛ أي جهنم، إذ تجد العذاب الذي تستحقه نتيجة أعمالها في الحياة الدنيا. وأما الذين تتساوى أعمالهم فإنهم يحشرون في منزلة ثالثة وتدعى (هميستكان)، وتقع بين الجنة والنار، وهذه مخصصة للذين تتساوى أعمالهم وزناً وتقديراً. وفي هذا المكان لا يجدون عذاباً سوى أن هناك رياحا تهب عليهم لا هي باردة ولا هي ساخنة).

كما أنهم يعتقدون أن هناك قوى باطنية مخفية تؤثر في حياة الإنسان وهي:

القوة الأولى:أهو (Ahu): وهي قوة الحركة والحرارة الحياتية، وأحيانا يترجمونها بالروح؛ ولكنها لا تعني الروح التي هي مصدر حياة الإنسان، وهذه القوة لها ارتباط مباشر مع جسم الإنسان، وهي تكون قوته وحركته، وتفنى هذه القوة بفناء الجسم.

القوة الثانية: دئنا(Deana): وهذه القوة منحها الله كل إنسان؛ وهي بعنوان الوديعة الإلهية، وهي التي تهدي الإنسان إلى طريق الخير، وتبعده عن طريق الشر، ويمكن أن تترجم بالوجدان أيضاً.

القوة الثالثة: هي قوة الإدراك والفهم؛ واسمها يئوز (Eaoza)، وهذه القوة ترافق الإنسان بعد مماته حتى الصراط المستقيم، ولا تفنى بفناء الجسد.

القوة الرابعة: وهذه القوة لها الإرادة والاختيار التام، وهي التي تعيّن مصير الإنسان. و إذا كان الإنسان لا يملك عملاً طيباً، فإنها سوف تقوده إلى الجحيم، وإذا هدت الإنسان إلى الخير، فإن مصيره سوف يكون النعيم.

٥- القوة الخامسة: ويسمونها (فروهر)؛ ولها معان عدة. وجاءت هذه الكلمة في كتاب (الاواستا)، إذ إنها والروح بمعنى واحد، وجاءت في مكان آخر بمعنى الملجأ، أو هي التي تحمي الشخص. ولكن معناها الأصلي هو الأشياء العليا، أو المثل أو صور الأشياء، ويعتقد البعض أن نظرية (المثل الأفلاطونية) واقعة تحت تأثير هذه الفكرة، وإن أفلاطون كان قد اطلع على هذه الفكرة، وهي صور الأشياء، أي إن لكل شيء في هذه الدنيا (مثلا) في ذلك العالم العلوي، ويقولون إن هذه الفكرة مأخوذة من فكرة (فروهر) الزرادشتية التي تقول إن كل شيء في الكون مكون من جسم ماديّ (فروهر) أو روح، وبعد انقضاء دور الجسم فإن الروح سوف تعود إلى العالم غير المرئي أو الروحانيّ.

ويعتقدون أن (فروهر) هو (أهورامزدا)، أو روح أو مثل (أهورامزدا) وهي أساس ومنبع كل الأرواح الجميلة والطيبة. ويقولون إن قوة (فروهر) تنفصل بعد موت الجسم، وتعرج إلى السماء ولكن يبقى ارتباطها المعنوي مع الجسم، وإن قوة أو روح (فروهر) أفراد قبيلة واحدة تكون مرتبطة مع بعضها البعض.

أما قوة (الوجدان) فإنها تبقى وتحضر بعد موت الشخص عند ميزان الأعمال، وإن وجدان الأشخاص الطيبين يحضر على شكل فتاة جميلة وتساعد صاحبها عند العبور على الصراط، وإذا كانت أعماله سيئة فإن (وجدان) يظهر على شكل فتاة قبيحة تقوده إلى الجحيم، ووجدان هنا مثل الأعمال الصالحة الخيرة أو الأعمال السيئة التي تحضر يوم الحساب عند الإنسان.

أما الشفاعة فلا معنى لها وهي مرفوضة عندهم لأنها تخالف العدل الإلهي أيضاً؛ لأن كل إنسان يجب أن يرى نتيجة أعماله، وأن يحصل على جزائه نتيجة تلك الأعمال، ولا داعي للشفاعة التي تمثل قانوناً مخالفاً للعدل والعدالة.

أما القيامة عند الزرادشتيين فهي نوعان: قيامة فردية، وقيامة عامة؛ فالأولى تكون لكل من مات أثناء حياة الناس، والثانية تكون لجميع الأحياء حين يشاء (آهورامزدا) إفناء الدنيا وهلاك الأحياء، وإذا كان الزرادشتيون يؤمنون بنوعين من القيامة، فإن البعث عندهم كذلك،حيث تُحاسب كل روح على حدة جزاء ما قدمت من أعمالً في حياتها الدنيوية. أما البعث الجماعى فيحدث إثر حادث فلكى، ذلك أن كوكباً يرضب الأرض فتميد بالناس، وتنهد الجبال، وتنتشر النيران فى كل مكان، وتذوب العناصر، ويُصهر النحاس، ويفنى أهرمان وأنصاره من الشياطين. ويغسل الناس فى منصهر النحاس، فيجده الصالحون بردا وسلما، بعد ذلك يجمع (آهورامزدا) الخلائق ويمدهم بحياة جديدة.

المطلب الثاني:المعاد في الدين اليهوديّ:

لم تكن نصوص التوراة الحالية واضحة في إشارتها إلى المعاد، بالرغم من أن الإعتقاد به كان موجوداً في عهد موسى –عليه السلام–، وإن من أهم الأمور التي فصلها الله تعالى لموسى –عليه السلام– هو اليوم الآخر بتفصيلاته

المختلفة من البعث والجزاء والحساب والجنة والنار وغيرها، وقد أشارت الآية الكريمة إلى هذا التفصيل بالقول: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾.(٢)

القرآن الكريم يحفل بخطابات موسى –عليه السلام– التي تعبّر عن الدعوة إلى الإيمان بالمعاد بوفرة، ونذكر منها ما يلي:

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آياتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ... ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبوا بِآياتِنا وَكانُوا عَنْها غافِلِين وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَلِقاءِ الآخِرَة حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاّما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٣)

﴿وَقالَ مُوسى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبّر لا يُؤْمِنُ بِيَوم الحِساب﴾.(٤)

لكن نجد أن التوراة التي بين أيدينا خالية من الحديث عن البعث والجزاء ولم يشر كتاب التوراة بصورة واضحة إلى البعث والمعاد وإنما اكتفى بالإشارات التي قد تدل عليه.

يقول الدكتور(دراز) عن هذا الموضوع (لا نصادف منذ آدم حتى موسى إلى آخر عهده، أي إشارة في أي مكان إلى حياة بعد الموت، كأن لم يكن لعقيدة الحياة الآخرة مكان في أديانهم)(٥).

ولا نستبعد أن يكون السبب في خلو التوراة من البعث والمعاد هو بسبب التحريف الذي حصل في هذا الكتاب، لاسيما أن نصوص التوراة الموجودة اليوم هي ليست نصوص التوراة التي نزلت على النبيّ موسى –عليه السلام–.

ويرى أغلب العلماء والمفسرين والمؤرخين أن سبب هذا التحريف جاء نتيجة المدة الزمنية الطويلة بين عهد النبيّ موسى–عليه السلام–، وكتابة أول سفر من أسفار التوراة، ما أتاح الفرصة لدخول النصوص الموضوعة التي اعتمد أغلبها على القصص والخرافات التي كانت سائدة في المجتمع اليهوديّ آنذاك.(٦)

ويظهر أن أول سفر، وهو سفر التكوين قد دوّن بعد خمسمائة سنة بعد عهد موسى –عليه السلام–، وسفر الخروج وسفر التثنية بعد سبعة قرون، وسفر الإعداد و اللاويين بعد تسعة قرون؛ أي في القرنين الرابع والخامس قبل الميلاد(٧).

وعند قراءتنا للتوراة الحالية؛ نجد فيها الكثير من التهم والأباطيل الموجهة إلى الأنبياء والرسل السابقين، مما لا يقبله العقل، ولا يرضاه الضمير. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا التحريف بالقول: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ

٢– سورة الأنعام،آية ١٥٤.
٣– سورة الأعراف،آية ١٤٦–١٤٧.
٤– سورة غافرآية ٢٧.
٥– دراز،د،محمد عبد الله، دستور الأخلاق في القرآن،،ص٢٨.
٦– توملين: فلاسفة الشرق، ترجمة / عبد الحميد سليم، دار المعارف، ١٩٨٠ م، ص١٠٠.
٧– وافي، د عبد الواحد، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة،، ص١٧.

يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾[٨]. وإذا كانت التوراة قد كتبت بعد هذه المدة الزمنية الطويلة وتعرضت لهذا التحريف والتغيير، فكيف يمكن الاعتماد على نصوصها وعدّها كتاباً إلهيا قابلاً للاعتماد والتطبيق؟!

يرى العلامة الطباطبائي، أن شخصاً اسمه عزرا هو الذي كتب التوراة وجمعها بأمر من كورش بعد أن حررهم من الأسر البابلي، وكان ذلك قبل أربعمائة وسبع وخمسين سنة قبل الميلاد، وجمع عزرا التوراة وصححها وهي التوراة الدائرة اليوم.

ويقول: (وأنت ترى بعد التدبر في القصة، إن سند التوراة الدائر اليوم مقطوع غير متصل بموسى، إلا بواحد هو(عزرا) لا نعرفه أولاً، ولا نعرف كيفية إطلاعه وتعمقه ثانياً، ولا نعرف مقدار أمانته ثالثاً، ولا نعرف من أين أخذ ما جمعه من أسفار التوراة رابعاً، ولا ندري بالاستناد إلى أي مستند صحح الأغلاط الواقعة أو الدائرة خامساً)[٩].

أما بالنسبة للبعث والمعاد فقد جاءت التوراة خالية منهما، ولم تشر إلى وقوع المعاد وكيفيته، ولم تذكر أن وقوع الثواب والعقاب في ذلك العالم، بل إنها أشارت إلى وقوعهما في عالم الدنيا فقط.

وقد تعرض (ابن كمونة) اليهوديّ في كتابه تنقيح الأبحاث لهذا التشكيك الدائر حول التوراة وخلوها من البعث والمعاد في بعض مناظراته مع المشككين القائلين: (إن هذه التوراة لم نجد فيها تصريحا بالثواب والعقاب الآخرويّين، وذلك من أهم ما يذكر، وهو الأصل الأعظم في التشريع. فلو كانت التوراة التي بين أيدي اليهود منزلة من الله تعالى لما جاز خلوها من التصريح بذلك، والعدول عنه إلى الدنيويّين الذين قد أكثر من ذكرهم في التوراة، فإن الدنيا زائلة ولا اعتداد بنعيمها وشقائها)[١٠]. ويردّ (ابن كمونة) على هذا التشكيك بالقول: (إن خلو التصريح بذلك لا يضر إذا كان قد أُنزل على موسى –عليه السلام–، وخاطب بني إسرائيل، واستفاض فيهم فإن قيل، فلم يكتبه في التوراة مصرحاً؟ قيل إن الأمور الإلهية لا يجوز المعارضة فيها، ولا السؤال عنها، بل ربما يكون ذلك لحكمة إلهية لا نعرفها) [١١]. ويرى (ابن كمونة) أن ذكر البعث كان موجوداً قبل (موسى) –عليه السلام–، وكان اليهود يعتقدون به، لذلك فهم لا يحتاجون إلى التكرار، أو قد تكون هناك حكمة إلهية لا نعرفها في عدم التصريح بالبعث في التوراة.

لكن بعض علمائهم أشاروا إلى عدم وجود أي تصور عند اليهود للحياة الآخرة بعد الموت ومنهم العالم فرويد الذي قال: (لم تأت إشارة إلى الحياة بعد الموت في الكتب اليهوديّة القديمة). وهذا ما ذهب إليه

٨– البقرة/٧٩

٩– الطباطبائي، محمد حسين،تفسير الميزان، ج٣،ص٣١٠.

١٠– إبن كمونة عز الدولة سعد بن منصور،تنقيح الأبحاث للملل الثلاث، ص ٢٠٠دار الجمل بيروت ٢٠٠٨ م.

١١– للإطلاع على هذه المناظرات، ينظر صديق بن كمونة،تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث، ص٤٠.

المحقق اليهوديّ (وان دربلوك) أيضاً فقال: (لا يوجد هناك أي تصور لحياة بعد الموت في الآثار اليهوديّة القديمة؛ إذ إنهم كانوا يعتقدون أن الروح تخرج من بدن الإنسان على شكل دخان، وتذهب إلى عالم تحت الأرض. لذلك يقولون إن عالم تحت الأرض هو عالم الأشباح)[١٢].

ومن الفرق اليهوديّة المعروفة التي لا تؤمن بالمعاد هي فرقة الصدوقيين التي أُسست قبل الميلاد بقرنين. ويستند الصدوقيون في عدم إيمانهم بالمعاد إلى التوراة التي لم تشر إليه. والمعروف أن الصدوقيين لا يؤمنون بالكتب اليهوديّة الأخرى التي نزلت على أنبيائهم، بل أن إيمانهم يقتصر على ما ورد من أحكام وتعاليم في التوراة فقط، لهذا أنكرت هذه الفرقة البعث والمعاد؛ لأن التوراة قد خلت من ذكرهما،[١٣] وقد ورد ذكر هذه الفرقة في الأناجيل، إذ أنهم حاجّوا النبيّ عيسى –عليه السلام–، في مسألة المعاد، فقال لهم عيسى –عليه السلام–: (العجب لكم كيف تنكرون قيامة الأموات مع أنكم تقرؤون في كتبكم أن الله إله للأحياء، ولا يصح له أن يكون غير إله للأموات). [١٤]

المعاد في كتب وأسفار بني إسرائيل الأخرى.

لقد وردت إشارات عن البعث والمعاد في صحف الأنبياء الذين جاؤوا بعد النبيّ موسى –عليه السلام– ولو أن هناك من يرى أن البعث المقصود هنا، هو البعث القوميّ لليهود وعودة دولتهم وانتصارها على العالم، لكن هناك من يعتبرها إشارات إلى البعث والمعاد الآخرويّ. ويرى الباحثون أن هذا الإيمان بالبعث يعود إلى تأثرهم بالعقيدة الفارسية أثناء أسرهم في بابل كما سيأتي توضيحه. أما ماورد من النصوص التي ذكرت البعث والمعاد فمنها نص النبيّ أيوب–عليه السلام–: حيث يقول (أما أنا فقد علمت أن وليّ حي، والآخر على الأرض يقوم. وبعد أن يفنى جلدي هذا، وبدون جسدي أرى الله الذي أراه لنفسي وعيناي تنظران)[١٥]. وهذه إشارة صريحة إلى البعث والمعاد الآخرويّ، وليس إشارة إلى البعث القوميّ.

وجاء في مزامير داود نصوص كثيرة، منها: (إنما الله يفدي نفسي من يد الهاوية لأنه يأخذني)[١٦]. (برأيك تهدني وبعد إلى مجد تأخذني. من لي في السماء، ومعاه لا أريد شيئا في الأرض)[١٧]. وهذا نص صريح على البعث أيضاً ولا تأويل فيه للبعث القوميّ.

أما نص أشعيا (تحيا أمواتك، تقوم الجثث، استيقظوا، ترنموا يا سكان التراب، لأن تلك كل أعشاب الأرض تسقط الأخيلة)[١٨]. وهو نص صريح أيضا عن المعاد الجسمانيّ، إذ إن الله سيبعثها مرة أخرى

١٢– ينظر،جان ناس،تاريخ جامع الأديان،ص٢٢.
١٣– الشريدة،محمد حافظ أصول العقيدة في التوراة،المحرفة،ص٢٩٣.
١٤– إنجيل متي،الإصحاح الثاني والعشرون.
١٥– العهد القديم،سفر أيوب،الإصحاح التاسع عشر.
١٦– د. فرج الله عبد الباري،– يوم القيامة بين الإسلام والمسيحيّة واليهوديّة، ص ١٥٢.
١٧– مزامير داود، ٢٤–٢٥–٧٢، ٣ – أشعيا، ١٩–٢٦.
١٨– المصدر في أعلاه،٢٧–٣٠.

للحشر. لكن بعض اليهود يرى أنها بشارة إلى عودة دولة اليهود، وليست إلى البعث الآخرويّ، وذلك لاعتبارات سياسية والغرض منها بعث الأمل عند اليهود لأنهم يحلمون بالسيطرة على العالم.

أما سفر اللاويين فقد خاطب بني إسرائيل مشيرا إلى الثواب بالقول: (إذا سلكتم في فرائضي وحفظتم وصاياي وعملتم بها، أعطي مطركم في حينه، وتعطي الأرض غلتها، وتعطي أشجار الحقل أثمارها. ويلحق دراسكم بالقطاف، ويلحق القطاف بالزرع، فتأكلون خبزكم للشبع، وتسكنون في أرضكم آمنين، وأجعل سلاماً في الأرض، فتنامون وليس يزعجكم أحد، وأبيد الوحوش الرديئة في الأرض، ولا يعبر سيف في أرضكم، وتطردون أعداءكم، فيبسطون أمامكم بالسيف، يطرد خمسة منكم مئة)[١٩]. أما العاصون فيكون عذابهم على الأرض أيضاً؛ فقد جاء في السفر نفسه القول: (وإن سلكتم معي بالخلاف ولم تشاءوا أن تسمعوا لي، أزيد عليكم ضربات سبعة أضعاف خطاياكم، أطلق عليكم وحوش البرية، فتعدمكم الأولاد، وتقرض بهائمكم وتقلقكم فتوحش طرقكم).[٢٠]

وهناك من يعتقد أن اليهود أخذوا عن الإيرانيين أمورا كثيرة بعد تحريرهم من الأسر البابلي ومنها المعاد وتلك الأمور هي:

١. الشيطان: فقد جاء في التوراة أن الذي أخرج أدم من الجنة هي الحية، ولم يأت ذكر الشيطان.

٢. الملائكة.

٣.المنجي أو المنقذ الموعود.

٤. البعث أو المعاد

وهذا الرأي يؤيده الباحث (جان ناس)؛ إذ يرى أن اليهود أخذوا هذه الأمور عن الإيرانيين بعد الأسر البابلي.[٢١]

ويؤيد(وول ديورانت)هذا الرأي أيضا في كتابه قصة الحضارة؛ فيقول: (ولم تكن فكرة البعث في خلد اليهود إلا بعد أن فقدوا الرجاء في أن يكون لهم سلطان في هذه الأرض، ولعلهم أخذوا الفكرة عن الفرس)[٢٢]. وقد جاء في كتاب التحقيق في الدين اليهوديّ القول: (في روايات الكتاب المقدس يظهر أن الإسرائيليين لم يكن عندهم اعتقاد بالروح والبقاء بعد الموت والعذاب والنعيم والجنة والنار. وكانوا يعتقدون أن الأموات يرجعون إلى أرض يسمونها (شئول) ولم يكن مشخصا ماذا يجري لهم هناك، وان النعيم دساتير

١٩- سفر اللاوين،ص٢-١٠.
٢٠- المصدر في اعلاه،ص٢.
٢١- جان ناس،تاريخ جامع الأديان ص٢٥.
٢٢- وول ديورانت، قصة الحضارة،ج٢،ص٣٤٥.

الإله، فإن حياة الإنسان تكون طويلة ومنعمة، وإن أصحاب الذنوب تكون حياتهم قصيرة وتعسة، وإن الموت السريع هو العقوبة الإلهية للمذنبين، وان الحساب يكون في هذه الأرض).[٢٣]

ثم يقول: إن اليهود ما كانوا يعتقدون بالمعاد، وان الروحانيّين أنفسهم لم يكونوا يتوجهون إلى العذاب والثواب الآخرويّ، ثم ظهر ذلك التوجه والاعتقاد بالروح والقيامة والعذاب والنعيم بعد التبعيد، وكان المعاد في نظرهم معادا فرديا وليس جماعيا.[٢٤]

وجاء في موسوعة الأديان أنه: (لا يوجد في دين موسى اعتقاد بالحياة الأبدية والجنة والنار والحساب الفردي بما عليه الآن، وعلى الخصوص السعادة الأبدية وانتصار الحق على الباطل، ولكن هذه الأفكار نفذت وبما لا يقل الشك من دين الإيرانيين إلى العبرانيين خلال الأسر البابلي، وفتح الملك كورش الإيراني لبابل)[٢٥].

أما الكاتب (برويس) فيذهب إلى الاعتقاد نفسه فيقول: (أما الاعتقاد بالجنة والنار فإنه كان عند الشرقيين، وقد انتشر بين اليهود فيما بعد، حيث أخذوه من الإيرانيين)[٢٦]

ويقول الشيخ محمد رشيد رضا: " وليس في التوراة التي في أيدي اليهود والنصارى بيان صريح للبعث والجزاء بعد الموت، وإنما فيها وفي مزامير داود إشارات غير صريحة"[٢٧]

لكن هناك من لا يتفق مع هذه الآراء، ويرى أن السبب في عدم ذكر التوراة للمعاد، يعود إلى الفاصلة الزمنية التي وقعت بين عهد موسى –عليه السلام– وكتابة التوراة حيث كانت فترة طويلة الأمد، ما أدى إلى التحريف في نصوصها في أثناء كتابتها وتغيير حقائق كثيرة فيها ومنها المعاد. ويرجع بعضهم عدم ذكر التوراة لليوم الآخر إلى ثلاثة أسباب

الأول: هو معرفة بني إسرائيل بهذه العقيدة، ولذلك فهو أمر لا يحتاج إلى تكرار .وذكر هذا السبب سعد بن منصور بن سعد بن الحسن الإسرائيلي، المعروف بـ(ابن كمونه) اليهودي (وبين أن خلو التوراة من الحديث عن البعث والجزاء، جعل كثيراً من الباحثين، يذهبون إلى أن اليهود لا يعتقدون بالبعث، والثواب والعقاب في الآخرة، وهذا يغاير الواقع الذي يصرح به اليهود).

الثاني: أن ثواب الآخرة مما يستدل عليه بالعقل، فاختصرت التوراة الحديث عنه، اتكالاً على العقل.

الثالث: أن النبوة من شأنها الكلام عن الحوادث القريبة للحاجة إليها، وتختصر في الحوادث البعيدة.[٢٨]

٢٣– اشتياني، جلال الدين، التحقيق في الدين اليهوديّ،ص٣٦٢.
٢٤– المصدر نفسه ص٣٦٣
٢٥– ينظر،علوي،عبد القادر،موسوعة الأديان،الباب الثاني،الفصل الثاني، المبحث الثالث،اليوم الآخر لدى اليهود.
٢٦– اشتياني، جلال الدين، التحقيق في الدين اليهوديّ، ص٢٦٣.
٢٧– محمد رضا رشيد،تفسير المنار،ج١٠،ص٢٥٢
٢٨– إبن كمونة تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث، ص ٢٦ ومابعدها.

ثم بدأت مسألة المعاد تظهر في كتب الأنبياء الذين جاءوا بعد موسى–عليه السلام– والتي دونت في مدة قصيرة بعدهم، وقد أكدت هذه الكتب وجود البعث و المعاد، وهذا ما نلاحظه مثلاً من ظهور كلمة الهاوية في سفر أيوب الباب الرابع عشر النص الحادي عشر: (ليتك تواريني في الهاوية وتخفيني إلى أن ينصرف غضبك)[٢٩].

وكذلك ورد اسمها في كتاب أمثال النبيّ سليمان–عليه السلام–. وقد أصبحت الجنة فيما بعد تشير إلى النعيم في تلك الحياة الأبدية، وصاروا يروون عنها الروايات والقصص، ويقولون إن لها اثني عشر باباً من الزمرد وكل من يأتي هناك فإنه يخلع لباسه القديم ويرتدي ثماني قطع من اللباس الجديد، وتاجين من الجواهر[٣٠].

أما القرآن الكريم فقد أكد أن الإيمان بالبعث والمعاد كان موجودا في عهد النبيّ موسى–عليه السلام– وكذلك قبله، وقد وردت الآيات القرآنية الكثيرة التي تشير إلى ذلك.ومنها ما جاء على لسان نوح–عليه السلام– وتحذيره لقومه بعذاب يوم القيامة قوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[٣١] وهو يوم الآخرة وكذلك ما جاء على لسان موسى–عليه السلام– ودعاؤه لقومه: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾.[٣٢]

من جانب آخر فمن غير الممكن أن يأتي ذكر المعاد في كتاب الزرادشتيين (الأواستا) الذي سبق التوراة بقرون عديدة، ولم يأت ذكره في التوراة التي نزلت بعده بقرون عديدة. ويمكن القول إن العذاب الكثير الذي نزل على بني إسرائيل في الحياة الدنيا، جعلهم يربطون هذا العذاب بوجود المعصية، وكذلك نزول الخير ورفع العذاب بعد الطاعة وعمل الخير. فأصبح هذا الأمر من المسلمات والبديهيات في حياتهم، وكأنما أصبحت حياتهم مرهونة بالعمل الذي يعملونه. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فقد أصبح حب الحياة الكريمة والعيش في أمن وأمان من المخاطر أمرا مهماً عند الإسرائيليين؛ لذلك كانوا يطلبونها دائما ويتمنون توافر النعمة والأمن في هذه الحياة، ما جعلهم يغفلون عن الآخرة. وإن موسى –عليه السلام– كان كثيرا ما يحثهم على الصبر وتحمل المصاعب، ويقول لهم إن الله يستخلفكم في الأرض، وينعم عليكم ويدفع عنكم العذاب الذي تتعرضون له، وينقذكم من الفراعنة. فأصبح الترجي والأمل والخوف معقود على هذه الدنيا فقط، وأصبح أمراً اعتيادياً في المجتمع آنذاك، فانشغلوا عن الآخرة وتوجهوا إلى الدنيا. لذلك فحينما أرادوا كتابة التوراة وبعد تلك المدة الطويلة من الزمن، يكون أمر المعاد قد ضاع عليهم، وأصبح أمر العذاب والثواب في هذه الدنيا هو الجزاء والنتيجة النهائية للأعمال التي يقومون بها، ولم يتوجهوا إلى ثواب وعذاب الآخرة، فنسوا

٢٩– آريا،، معرفة تأريخ الأديان،ص ٣١٩
٣٠– الطباطبائي،الحياة بعد الموت،ص ٢٤.
٣١– سورة الشعراء،آية ١٣٥
٣٢– سورة الأعراف آية ١٥٦.

المعاد، ونسوا الآخرة خلال هذه المدة الطويلة. لذلك جاءت كتابة التوراة مطابقةً للحالة التي يعيشها المجتمع الإسرائيلي في ذلك الوقت، ولما تسود فيه من قصص وخرافات. فأصبح هذا الكتاب مدوناً بما يملي عليه الواقع الاجتماعيّ والدين الموجود والفكر السائد في ذلك الزمان. وقد أكدت الآيات القرآنية هذه الحقيقة، وعلى العذاب والثواب الدنيويّ، الذي كان ينزل على بني إسرائيل: [٣٣] كقوله تعالى:

﴿قالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.[٣٤]

﴿قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[٣٥].

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾[٣٦].

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[٣٧].

المطلب الثالث:المعاد في الدين المسيحيّ:

لم تخل الأناجيل من موضوع البعث و المعاد واليوم الآخر والعقاب والثواب الآخرويّ؛ فقد أشارت إلى هذه الأمور بصراحة ووضوح. وعدته أصلاً مهما من أصول العقائد في الدين المسيحيّ.

فقد جاء وصف يوم القيامة في إنجيل متى يقول: (وللوقت بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس والقمر لا يعطي ضوءه، والنجوم تسقط من السماء، وقوات السموات تتزعزع، وحينئذٍ تظهر علاقة ابن الإنسان في السماء، فحينئذ تفوح جميع قبائل الأرض، ويبصرون ابن الإنسان آتياً على سحاب السماء بقوة ومجد كثيرة. فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح من أقصى السموات إلى أقصاها).[٣٨]

وجاء في إنجيل متى أيضاً الباب الثامن: (وأقول لكم إن كثيرين سيأتون من المشارق، وسيكونون مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب في ملكوت السموات)[٣٩]. وجاء أيضاً في الباب الثاني عشر منه: (ولكن أقول لكم إن كل كلمة باطلة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حساباً يوم الدين).[٤٠]

٣٣- الشهري زاهر محمد،الإيمان باليوم الآخر عند اليهود، ص١٢.
٣٤- سورةالأعراف آية١٢٨.
٣٥- سورة الأعراف آية١٢٩.
٣٦- سورة الأعراف آية ١٥٢
٣٧- سورة البقرة آية٥٧.
٣٨- إنجيل متى،٢٤/٢٩.
٣٩- إنجيل متى،٨/١١.
٤٠- إنجيل متى،١٢/٣٦.

وورد في إنجيل مرقس النص الآتي أيضا يصف يوم القيامة وكيف تكون حالة الشمس والقمر تلك الأيام: (وأما في تلك الأيام بعد ذلك الضيق، فالشمس تظلم والقمر لا يعطي ضوءه، ونجوم السماء تتساقط، والقوات التي في السموات تتزعزع، وحينئذ يبصرون ابن الإنسان آتيا في سحاب بقوة كثيرة ومجد، فيرسل حينئذ ملائكته ويجمع مختاريه من الأربع الرياح من أقصى الأرض إلى أقصى السماء). [٤١]

وجاء فيه أيضاً في الباب العاشر: (وفي الدهر الآتي الحياة الأبدية)[٤٢]، وجاء في القسم الثاني عشر منه: (وأما من جهة الأموات إنهم يقومون).[٤٣]

وأكد إنجيل يوحنا البعث وقيام الساعة؛ وهذا ما أشار إليه النص الوارد فيه الذي يقول: (لا تتعجبوا من هذا، فإنه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذي في القبور صوته، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين فعلوا السيئات إلى قيامة الدينونة).[٤٤]

وفي إنجيل لوقا جاء القول مخاطباً الفقراء: (افرحوا في ذلك اليوم وتهللوا فهو ذا أجركم عظيم في السماء).[٤٥]

وجاء عن (بولس رسول) ما يؤكد حقيقة المعاد بالقول: (ولكن إن كان المسيح يكرز إليه أنه قام من الأموات، فكيف يقول قوم بينكم إنه ليس قيامة، فإن لم تكن قيامة أموات فلا يكون المسيح قد قام. فيأكل كرازتنا وباطل أيمانكم)[٤٦]. وجاء أيضا في إحدى رسائله (الراقدون بيسوع يحضرهم الله معه).

وورد أيضا في رؤيا يوحنا اللاهوتي: (ورأيت الأموات صغاراً وكباراً واقفين أمام الله). [٤٧]

هذه النصوص تظهر بشكل واضح اعتقاد المسيحيّين بالمعاد العام لجميع البشر. أما بالنسبة للسيد المسيح فإنهم يعتقدون بأن له معادا جسمانيا يختلف عن معاد الناس وحشرهم. فهناك حشر عام للناس، يحشرون جميعا في أجساد أثيرية تختلف عن حشر جسد السيد المسيح الذي يكون في بدنه الدنيويّ نفسه. ويشير الكاتب المسيحيّ (سن يل) إلى ذلك بالقول: (إن هناك حشرا عموميا، إذ إن هذا الحشر أو القيام يفرق عن الحشر الخاص لعيسى المسيح. وهذا القيام ليس له أي ارتباط في إحياء الأجساد الفانية، والحشر العمومي له ارتباط بالخلق الجديد للخالق، وخلقه الإنسان الروحيّ ليس بعنوان موجود حي، إذ أصبح

٤١- مرقس،١٣/٢٤
٤٢- إنجيل،مرقس،١٠/٣٠
٤٣- إنجيل مرقس،١٢/٢٦
٤٤- إنجيل يوحنا،٥/٢٨
٤٥- إنجيل لوقا،٦/٢٣
٤٦- رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس،ص١٥
٤٧- سفر يوحنا٢٠/١٢

مفقودا أو ميتا، ولكن هذا الإنسان الروحيّ الجديد بعنوان جسم مثالي، إذ سيكون في العالم الأثيري أو غير المرئي، وجسمه الماديّ لا يزال في عالمنا الماديّ) ويعتمد في رؤيته هذه على رسالة كورنؤس الأولى(٤٨).

ويرى الكاتب أن المعاد معاد روحي، إذ تحشر روح الإنسان في قالب مثالي، والجسم الماديّ يبقى في هذا العالم، أما السيد المسيح–عليه السلام– فيكون حشره ببدنه ذاته الذي كان عليه في الدنيا. ومن الممكن أن تكون الإشارة هذه إلى عالم البرزخ الذي يؤمن به المسيحيّون أيضا.

يرى بعض المسيحيّين أن لا وجود للذائذ الماديّة في ذلك العالم، ويستندون في ذلك إلى ما جاء في الأناجيل من قول: (إن الناس يحشرون ملائكة لا يطعمون ولا يشربون ولا ينامون ولا يتوالدون). (٤٩)

وقد تحدث القس (جاك مارتن) عن الروح وروحانيتها وضرورة عودها، ولم يشر في حديثه إلى الجسد وعودته فقال: (الروح روحانية وغير قابلة للفساد، والروح ليست ماديّة وغير قابلة للتجزئة، ولم تفقد وحدتها وهي قائمة بذاتها، وكذلك لم تفقد قدرتها الداخلية، لها قدم محكم في الوجود، ومن الضروري أن تكون موجودة دائما في البعث والمعاد)(٥٠).

وهناك من الفلاسفة المسيحيّين من لا يستبعد أن يكون المعاد معاداً جسمانياً، لأن القدرة الإلهية التي خلقت الإنسان يمكنها أن تعيد هذا الجسد مرة ثانية يوم الحشر، فقد جاء عن الباحث المسيحيّ (سن توماس) القول: (إن المعاد أصل مهم وليس من المستبعد إحياء هذه الأبدان، وإن قدرة الله الخلاقة قادرة على ذلك، إذ يجمع الذرّات مع بعضها البعض)(٥١). ويقول أيضاً: (وأصبح ثابتاً إذ إن رجوع الأجسام لا يلزمه أن ترجع تمام ذرات الجسد الأولية، هي نفسها التي سوف تعود كاملة حتى يتشابه البدن الدنيويّ مع البدن الآخرويّ)(٥٢).

أما الفيلسوف المعروف (هول سكوت أرينجا)، فقد كان بحثه عن المعاد بحثا فلسفيا عرفانيا، فهو يرى أن العود يتم على ست مراحل؛ وهذه المراحل هي:

– المرحلة الأولى: وهي مرحلة الموت، إذ ينحلّ هذا الجسم الماديّ الكثيف إلى العناصرالمركبة الأربعة (ماء، هواء، نار، تراب).

– المرحلة الثانية: وهي مرحلة البعث؛ إذ يعطى كل منا جسمه باجتماع العناصر التي تؤلفه–والبعث هو ثمرة الطبيعة والنعمة الإلهية.

– المرحلة الثالثة: يتحول الجسم إلى الروح بصعوده إلى درجتي الحياة والحسّ.

٤٨– جون هيك، فلسفة الدين،، ص٣٠١.
٤٩– إنجيل مرقس،٥٢/١٢.
٥٠– ينظر مجلة، ريزن،(reason) الأمريكية' العدد الصادر في كانون الثاني ١٩٧٦م،ص٦.
٥١– جون هيك،فلسفة الدين،ص ٢٦٠.
٥٢– جون هيك،المصدر نفسه، ص ٢٦٩.

– المرحلة الرابعة: عودة الطبيعة الإنسانيّة وقد صارت روحيّة بأكملها إلى المثل والعلل الأولى القائمة أبداً في الله، وذلك بأن ترد ماهيات المحسوسات إلى مثلها الإلهية بالاستدلال.

– المرحلة الخامسة: عدّ المثل صوراً لله، وإدراك العلم بالمخلوقات جميعاً في الله، والصعود من هذا العالم والتعقل إلى الحكمة. فقوى الإنسان المدركة ثلاث: الحسّ والاستدلال والتعقل، وهذه القوى تتدرج من الكثرة إلى الواحد.

– المرحلة السادسة: تتشبع فيها الطبيعة الإنسانيّة بالله، فتصير إلهية كما يصير الهواء ضوءاً، والمعدن المصهور ناراً من دون أن يتلاشى فيها الجوهر.(٥٣)

ومن الواضح أن نظرة هذا العالم هي نظرة عرفانية. فهو يرى أن هذا الجسم الماديّ المكون من هذه العناصر الأربعة سوف يتحلّل ويعود إلى عناصره الرئيسة. ويرى أن في مرحلة البعث والمعاد، وهي في نظره ليست المرحلة النهائية في العود، يرجع الجسم بعناصره الأربعة، أي جسماً ماديّا، وهذا الجسم كما يرى، لا توجد فيه حياة ولكنه بصعوده وترقيه يصل الى أعلى مرحلة روحانية، فيتحول إلى جسم حسي وحساس. أما في المرحلة الأخرى فإن الطبيعة الإنسانيّة وهي ليست طبيعة ماديّة، بل إنها روحانية خالصة تشبه مثلها الموجودة في ذلك العالم، وهي العلل التي جاءت منها، وهي صافية وروحانية وليس فيها أي جانب ماديّ. وإن المحسوسات الماديّة تصبح غير ماديّة كمُثلها الموجودة. ثم في المرحلة الخامسة تصبح هذه المثل صوراً لله، فهي تعكس الرحمة الإلهية والقدرة الإلهية والحب الإلهي والصفات الإلهية الأخرى. وإذا صارت هكذا فهي تصبح عالمة، وهذا العلم علم إلهي، أما حواسها الثلاث: الحس، الاستدلال، والتعقل، فتصبح واحدة؛ أي عند علمها بشيء لا تحتاج إلى حسه والاستدلال عليه، ثم تعقله، بل يتحد العقل والعاقل والمعقول فتدرك وتعلم الأشياء، وتتحد عندها الأشياء اتحاد العلم والعالم والمعلوم.

وفي المرحلة السادسة وهي العود النهائي إلى الله، تذوب فيه؛ أي في الصفات الإلهية، فتكون في الرحمة الإلهية والنعمة الإلهية، وهذا الذوبان يشبه ذوبان المعدن الذي يصير ناراً ولكن جوهره باق وهو المعدن، فالعودة النهائية هي العودة إلى الله، والذوبان في نور الله تبارك وتعالى، وهي عودة روحانية خالصة.

هذا بالنسبة إلى الذين يصلون إلى تلك الدرجة العظيمة؛ أي الذين اخترقت أبصار قلوبهم حواجب النور، فوصلوا إلى هذه المرتبة السامية، وهم الأنبياء وأمثالهم من حواريهم وأوصيائهم، أما التعساء فكيف يكون حشرهم وعودهم؟

يرى أرينجا أن الابتعاد عن المسيح وعدم العيش معه في ذلك العالم النوراني، هو الألم بالنسبة للمذنبين. فيقول: (يجب أن لانفهم أن الآلام التي جاءت في الكتب المقدسة أنها آلام حسية، وإنما هي صور ورموز،

٥٣ – جون هيك مصدر سابق،ص٣١١.

فبعد زوال العالم الماديّ لن يبقى سوى موجودات روحيّة. فليس للجحيم مكان في عالم محسوس يحشر فيها الأشرار، بل إن العذاب هو عذاب الضمير، الذي يأكل كالدود، والحزن الذي يحرق كالنار، أما النعيم فهو العيش مع المسيح الخالد الأبدي، والتمتع بهذا العيش ماديّاً كان أو معنوياً)(٥٤).

من الواضح أن نظرة هذا الفيلسوف إلى النعيم والعذاب، نظرة روحانية تتلخص في الابتعاد أو القرب من السيد المسيح، فالشوق والحرمان والتمتع بالرؤية هي الأساس في لذائذ وآلام الإنسان في المعاد.

أما نظرة الفرق المسيحيّة للمعاد فهي نظرة إيمانية مستوحاة من العهدين القديم والحديث والكتب المقدسة الأخرى. وتعدّ فرقة الكاثوليك الروم من الفرق المسيحيّة المهمة التي آمنت بالبرزخ والمعاد واليوم الآخر. ويرون (أن الإنسان بعد موته سوف يحشر في عالم الأرواح وهو عالم البرزخ، فإما أن يكون في عذاب دائم، أو نعيم دائم، ولا يحاكم إلا بعد انتهاء الدنيا، إذ تحاكم الأجساد حينما تلتحق بها الأرواح، وبعد هذه المحاكمة فإن الإنسان سوف يذهب إلى مقره النهائي، إما العذاب، وإما النعيم)(٥٥).

وفرقة الأرثوذكس تؤمن بالبرزخ وعذابه ونعيمه أيضا، فيقولون: (إن الروح تحاكم مؤقتاً بعد الموت في عالم البرزخ، وتبقى في ذلك العالم منتظرة الحشر والعود والمحاكمة النهائية، هذه بالنسبة لعامة الناس، أما الأشخاص المقدسون والشهداء فإنهم يذهبون إلى النعيم مباشرة، وإن الدعاء للميت في هذه المرحلة يكون مقبولاً وممكناً، إذ إنه ينقذ الروح من الغضب الإلهي في المحاكمة الأخيرة عندما تكون جميع الأجسام قد قامت واتحدت مع أرواحها، فالأجسام التي تحصل على النجاة؛ فإنها تكون بصورة أجمل وألطف من صورتها السابقة، أما الذين يكونون مورد لعنة الإله، فإنهم يحشرون في العذاب الأبدي)(٥٦).

المطلب الرابع:المعاد في الدين الإسلامي:

لقد أثبت القرآن الكريم وبالأدلّة القطعية والمحكمة مسألة المعاد وبعث الناس بعد الممات،واعتبر ذلك من الحوادث والوقائع القطعية التي لايمكن أن تتخلّف، وقد قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْناكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنا لا تُرْجَعُونَ﴾(٥٧) ﴿وَما خَلَقْنَا السَّماواتِ وَالأَرْضَ وَما بَيْنَهُما لاعِبِينَ۝ ما خَلَقْناهُما إِلاّ بِالْحَقّ وَلكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ۝ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾(٥٨)

وقداتفق المسلمون على وقوع المعاد لكنهم اختلفوا في كيفية وقوعه، فقد عدّه بعض الفلاسفة والعلماء معاداً روحانياً فقط، ومنهم من قال بالمعاد الجسمانيّ فقط، وهذا ما ذهب إليه أغلب الفقهاء وأئمة المسلمين، وآخرون قالوا بالاثنين معا.

٥٤- جون هيك، المصدر نفسه،ص٣١٠
٥٥- أينار مولند، العالم المسيحيّ،٩٠
٥٦- المصدر في أعلاه، ص ٩٤
٥٧- سورة المؤمنون،آية،١١٥
٥٨- سورة الدخان آية ٣٨ -٤٠

يقول الشيخ جعفر سبحاني

(إن من المسائل الشائكة في مبحث المعاد هو تبيين كيفيته، وهل أنّه جسماني فحسب أو روحاني كذلك، أو هو جسماني وروحاني معاً؟

والمحكي عن المحدّثين هو انّ المعاد جسماني فحسب، وذلك لأنّه لا واقعية للإنسان سوى هيكله الجسماني، وانّ الروح سار في بدنه سريان النار في الفحم والماء في الورد، فإذا بطل البدن بالموت بطلت الروح أيضاً، فلا يبقى هناك واقعية باسم الروح حتى تُعاد، وإنّما المعاد ما يبقى من الإنسان بعد موته من عظامه وسائر أجزاء بدنه.

وذهب أكثر المشائين من الفلاسفة إلى القول بأنّ المعاد روحاني فقط، لانقطاع الصلة بين الروح والبدن بالموت فيستحيل حينئذ أن تتعلق الروح بالمادة من جديد.

وذهب المحقّقون من المتكلّمين والحكماء كالشيخ المفيد والسيد المرتضى والشيخ الطوسي والمحقّق الطوسي والعلاّمة الحلّي من الإمامية، والغزالي والكعبي والحليمي والراغب الاصفهاني من السنّة، إلى أنّ المعاد جسماني وروحاني، لأنّ النفس وإنْ كانت مجرّدة إلاّ أنّ تجرّدها ليس تامّاً حتى يستحيل تعلّقها بالمادة من جديد.

هذه هي الآراء المطروحة، إنّما الكلام في تبيين الضوابط والمعايير التي على ضوئها يوصف المعاد بالجسمانية)[٥٩].

أما الذين قالوا بالجسمانيّ، فإنهم اختلفوا أيضاً في كيفية وقوعه، وليس في أصله، فقد قال بعضهم بعود جسم الإنسان هذا وبذراته الأصلية ذاتها، ومنهم من رجّح عودته بذرات أخرى غير ذراته الأصلية التي مات عليها. وقد أشار الملا صدرا الشيرازيّ إلى هذا الاختلاف في المعاد بالقول: (اتفق المحققون من الفلاسفة على حقيقة المعاد، وثبوت النشأة الباقية، لكنهم اختلفوا في كيفيته. فذهب جمهور الإسلاميّين وعامة الفقهاء وأصحاب الحديث إلى أنه جسماني فقط، بناءً على أن الروح عندهم جسم سارٍ في البدن سريان النار في الفحم، والماء في الورد، والزيت في الزيتونة. وذهب الفلاسفة وأتباع المشّائين إلى أنه روحاني أي عقلي فقط، لأن البدن ينعدم بصورته وأعراضه لقطع تعلق النفس بها، فلا يعاد بشخصه تارة أخرى. إذ إن المعدوم لا يعاد، والنفس جوهر باقٍ لا سبيل للفناء إليها فتعود إلى عالم المفارقات لقطع التعلقات بالموت الطبيعيّ. وذهب كثير من أكابر الحكماء ومشايخ العرفاء وجماعة من المتكلمين كالغزاليّ والكعبيّ الحليمي والراغب والأصفهاني، وكثير من أصحابنا الإمامية؛ كالشيخ المفيد وأبي جعفر الطوسيّ والعلامة الحلّيّ –رضي الله عنه– إلى القول بالمعاد جميعاً. واختلفت كلماتهم في أن المعاد من جانب البدن هو هذا البدن

٥٩– سبحاني،مفاهيم القران، باب المعاد،ص٧٧.

بعينه، أو مثله وكل من العينية أو المثلية، أيكون باعتبار كل واحد من الأعضاء والأشكال والتخاطيط أم لا؟ والظاهر أن هذا الأخير لم يوجبه أحد، بل إن الكثير من الإسلاميّين مال كلامهم إلى البدن المعاد غير البدن الأول بحسب الخلقة والشكل).[٦٠]

وذكر العلامة المطهريّ هذا الاختلاف أيضا بالقول: (يقول البعض إن المعاد عندما يكون عقليا؛ فهو معاد روحانيّ مقبول، وهو فقط معاد روحانيّ، وأما المعاد الجسمانيّ حيث لا يمكن من ناحية العلم والعقل، ولا يمكن أن نقول إنه محال، ولكن لا يوجد طريق لإثباته. وهؤلاء جملة من الفلاسفة لا يرون ضرورة لوجود المعاد الجسمانيّ؛ وإنما يرون أن المعاد عقليّ روحانيّ فقط، ولا يوجد دليل عندهم على وجود المعاد الجسمانيّ، ولكنهم لا يرونه محالاً؛ لأن قدرة الله هي التي تخلق الأشياء من العدم، فلا يمكن أن يكون من المحال وغير الممكن إعادة هذا الجسم مرة ثانية)[٦١].

ونقل العلامة المجلسيّ عن كتاب نهاية العقول قول الرازيّ في اختلاف أهل العلم في أمر المعاد قوله: (اختلف أهل العلم في أمر المعاد على وجوه:

أ- أن المعاد ليس إلا للنفس، وهو مذهب الجمهور من الفلاسفة.

ب- أن المعاد ليس إلا لهذا البدن، وهو قول نفاة النفس الناطقة، وهم أكثر أهل الإسلام.

ج- أن المعاد للأمرين، وهم طائفة كبيرة من المسلمين.[٦٢]

الخاتمة والنتائج

من خلال البحث المتقدم يتبين أن الأديان السماوية التي تقدم ذكرها تؤمن بالمعاد واليوم الآخر كما ورد على لسان أنبيائهم،وكما صرحت به كتبهم السماوية،ولكن الذي حدث هو أن هذه الكتب للأديان السماوية الثلاثة،الزرادشتية واليهودية والمسيحية،قد تم تحريفها على مر الزمان وبعد أنبيائهم مباشرة،والسبب يعود لعدم تدوين تلك الكتب من قبل أتباعهم،وقد تعرض موضوع المعاد للتحريف كما هو الحال لبقية الأمور الأخرى.فالدين الزرادشتي الذي تم تحريفه من قبل رجال الدين المجوس الذين جاؤوا بعد النبي زرادشت،أرادوا بذلك التحريف تثبيت مفاهيمهم اللادينية،وخاصة العود للإعتقاد بإلهين أحدهما للخير وهو إهورمزدا والآخر للشر وهوإهريمن،فضاعت بذلك التحريف المفاهيم والمبادئ التوحيدية التي نادى بها زرادشت.والقول نفسه ينطبق على الدين اليهودي الذي حرف أحباره التوراة الحقيقية من بعد النبي موسى -عليه السلام- وجاؤوا بفاهيم وكتب كتبوها بأديهم وقالوا من عند الله كماذكر القران الكريم ذلك،وحرفوا المعاد وقد أنكره بعضهم حيث جعل الثواب والعقاب على هذه الأرض.أما الأناجيل فلم يكن حالها أحسن من

٦٠- الشيرازيّ،الأسفار الأربعة،ج٩،ص١٦٦

٦١- المطهريّ، مرتضى، المعاد، ص١٩٠

٦٢- المجلسيّ، بحار الأنوار،ج٧،ص٤٨

حال الكتب التي سبقتها،فقد ضاع الأنجيل الحقيقي في زحمة الأحداث وحلت محله أناجيل لم يعرف من جاء بها ومن كتبها،فصار صوراً للمعاد مختلفة في تلك الأناجيل بعيدة عن المعاد الذي جاء به السيد المسيح –عليه السلام–. أما في الدين الإسلامي، فإن المعاد يُعد ضرورة من ضرورات الدين والذي ينكره يُعد خارجاً عن الملة بإجماع جميع علماء الأمة، لكنهم إختلفوا في كيفيته،فمنهم من قال أنه معاد جسماني ومنهم من قال روحاني ومنهم قال جسماني روحاني،والأخير يجمع عليه أغلب علماء الشيعة وفلاسفتهم لماورد فيه من آيات وأحاديث عن الرسول–صلى الله عليه وآله وسلم– وعن أهل البيت –عليهم السلام–.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

العهد الجديد

العهد القديم

الأواستا– الكتاب المقدس للزرادشتين

١. إبراهيم أنس،المعجم الوسيط،مركز الثقافة الإسلامية للنشر،طهران ١٩٧٥م

٢. أحمد كايد،الديانة المجوسية،،المطبعة الشرقية البحرين،١٩٩٩م

٣. آريا،غلام علي،معرفة تاريخ الأديان،مشورات الجامعة الإسلامية الحرة،طهران،١٩٩٨م

٤. آشتياني،جلال الدين،التحقيق في الدين اليهودي،مؤسسة أميركبير،طهرا١٩٧٧م

٥. إينارمولند،العالم المسيحي،ترجمة محمد باقر الأنصاري،مؤسسة أمير كبير طهران،١٩٨٥م

٦. توملين: فلاسفة الشرق، ترجمة عبد الحميد سليم، دار المعارف، ١٩٨٠ م

٧. جان ناس،تارخ جامع الأديان،ترجمة علي أكبر حكمت،الإنتشارات العلمية والثقافية طهران،١٩٧٣م

٨. جان هيك،فلسفة الدين،مؤسسة صدقيان،طهران،١٩٧٨م

٩. دراز،محمد عبدالله،دستو الأخلاق في القرآن الكريم،ترجمة شاهين،دار البحوث العلمية،بيروت١٩٨٠م

١٠. ديورانت وول،قصة الحضارة،ترجمة د زكي نجيب محفوظ،دار الفكر بيروت،١٩٧٥م

١١. سبحاني،جعفر،المعاد في القران الكريم،مؤسسة الإمام الصادق ع قم،١٩٩٨م

١٢. سبحاني،جعفر،مفاهيم القرآن،مؤسسة الإمام الصادق ع قم ٢٠٠٤م

١٣. الشيرازي،صدر الدين،الأسفار الأربعة،دار إحياء التراث العربي بيروت،١٩٧٨م

١٤. الطباطبائي،محمد حسين،الحياة بعد الموت،مؤسسة مطبوعات إسماعيليان،طهران ١٩٧٢م

١٥. الطباطبائي،محمد حسين،الميزان في تفسير القران،مطبوعات إسماعيليان طهران ١٩٩٨م

١٦. العريبي،د محمد،الديانات الوضعية المنقرضة،دار الفكر اللبناني بيروت،١٩٩٥م

١٧. علوي،عبد القادر،موسوعة الملل والأديان، مكتبة نور،على الأنترنت
١٨. فرج الله،عبد الباري،يوم القيامةدار الآفاق العربية القاهرة،٢٠٠٤م
١٩. كمونة،صديق،تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث،دار الأنصار،١٩٩٠م
٢٠. إبن كمونة عز الدولة سعد بن منصور،تنقيح الأبحاث للملل الثلاث، دار الجمل بيروت ٢٠٠٨ م
٢١. مجلة،(ريسون) الأمريكية،عدد كانون الثاني،١٩٧٦م
٢٢. المجلسي،محمد باقر،بحار الأنوار،مؤسسة الوفاء بيروت ١٩٨٥م
٢٣. المطهري،مرتضى،المعاد،مؤسسة البلاغ،٢٠٠١م.
٢٤. النصيري،حسين عبد الأمير،الجبر والإختيار في الأديان السماوية،مؤسسة ثائر العصامي، بغداد٢٠١١م.
٢٥. نوري إسماعيل،الديانة الزرادشتية،دار علاء الدين دمشق،١٩٩٧م.
٢٦. وافي،دعبد الواحد،الأسفار المقدسة،دار النهضة القاهرة١٩٩٦م.
٢٧. مهرداد مهرين: فلسفة الشرق ترجمة، محمود علاوي الناشر، المجلس القومي للترجمة ٢٠١٧ م.
٢٨. يوسفي،جمشيد، الزرادشتيّة، الديانة والطقوس، دار الوسام العربيّ للنشر والتوزيع، الجزائر، ط١.٢٠١٢